صَبْرُ سيدنا محمد ﷺ

على أذى المشركين

وتَحَمُّلُهُ الشّدائد في سبيل الله تعالى

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(سيدنا محمد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم)
من الصفحة ٢٦٨ حتى الصفحة ٢٧٥

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناءً على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

صبره ﷺ على أذى المشركين

وتحمله الشدائد في سبيل الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ فاصبرْ كما صبرَ أُولوا العزْمِ من الرُّسُل ولا تستعجِلْ لهم . . ﴾ الآية .

كان صبرُه ﷺ في سبيل الله تعالى يفوقُ صبرَ الصابرين ، وتحمُّله لأنواعِ أذى المعاندين له يعلو تحمُّل العالمين ، فكم لقي من سفهاء قريشٍ وأَشِدَّائهم من الغلظة والسفاهة والجفاء والشدَّة ؟! ولا ريب أنَّ الكلامَ البذيء المسيء له كِلام في أصحابِ النفوس الأبيَّة ، والأخلاق الرضيَّة ، ويتأثرون به أضعافَ ما يتأثر به غيرهم ، وإنَّ الأفعال المؤذية لتعملُ في نفوسهم أضعافَ ما تعملُ في غيرهم ، ممن لا خلاق له ولا خُلُق ؛ فما ظنُّك بنفسية سيدنا رسول الله ﷺ التي هي مجمع الكمال والأفضال ومصدرها ؟! وما ظنك بتأثره من الكلام المؤذي ، والفعل المسيء إليه .

روى الإمام أحمد والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أُخِفْتُ في الله وما يُخاف أحد ، ولقد أُوذيتُ في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتتْ عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعامٌ يأكلُه ذو كبِدٍ إلَّا شيءٌ يواريه إبِط بلال »[1] .

وكان المشركون يتصدَّون له بالعداوة ويقابلونه بأنواع الأذى بجموعهم وجماهيرهم وبأفرادهم ، ونسائهم وصبيانهم .

روى الطبراني عن الحارث بن الحارث قال : قلت لأبي : ما هذه الجماعة ؟

قال : هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئٍ لهم .

---

(١) قال في (الترغيب) : رواه الترمذي وابن حبان في (صحيحه) ، وقال الترمذي : حسن صحيح . اهـ .

قال : فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله عزَّ وجل والإيمان ـ وهم يردُّون عليه ويؤذونه ، حتى انتصف النهار ، وانصدع الناس عنه .

فأقبلت امرأة قد بدا ـ أي : ظهر ـ نحرها ـ أي : صدرها ـ وهي تحمل قَدَحاً ومنديلاً ، فتناوله ﷺ منها فشرب وتوضأ ، ثم رفع رأسه فقال : « يا بنيَّة خمِّري عليك ـ أي : غطِّي ـ نحرَك ولا تخافي على أبيك » .

قلنا : مَن هذه ؟ قالوا : هذه زينب بنته رضي الله عنها[1] .

وعن عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو قال : قلت له : ما أكثرَ ما رأيتَ قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تُظهِرُ من عداوته ؟

قال : حضرتُهم وقد اجتمعَ أشرافُهم في الحِجْر فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قطُّ ، سفَّه أحلامَنا ، وشتمَ آباءَنا ، وعابَ دينَنا ، وفرَّق جماعتَنَا ، وسبَّ آلهَتنا ! لقد صبرنا منه على أمرٍ عظيم !

فبينما هم في ذلك إذْ طلعَ عليهم رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استقبل الركنَ ، ثمَّ مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرَّ بينهم غمزوه ببعض ما يقول ـ قال : فعرفتُ ذلك في وجهه ، ثم مضى ، فلمَّا مرَّ بهم الثانية غمزوه بمثِلها ، فعرفتُ ذلك في وجهه ، ثم مضى ، فلما مرَّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها .

---

(١) قال الحافظ الهيثمي : رجاله ثقات . اهـ .

فقال ﷺ : « أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسُ محمد بيده لقد جئتكم بالذَّبح » أي : القتل .

فأخذتِ القومَ كلمتُه حتى ما منهم رجل إلَّا على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدهم فيه وصاة ـ أي : توصية بإيذائه ـ قبل ذلك ليرفَؤه[1] بأحسن ما يجدُ من القول ، حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فو الله ما كنتَ جَهُولاً .!

فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحِجْر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعضٍ : ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه ، حتى إذا باداكم ـ أي : جاهركم محمد ﷺ ـ بما تكرهون تركتموه ؟!

فبينما هم في ذلك إذْ طلع عليهم رسولُ الله ﷺ ، فوثبوا إليه وثبةَ رجلٍ واحد ، فأطافوا به يقولون : أنتَ الذي تقول كذا وكذا ؟ لما كان يبلغهم من عيب آلهتِهم ودينهم .

قال : فيقول رسول الله ﷺ : « نعم ، أنا الذي أقول ذلك » .

قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذ بمجْمع ردائه ﷺ ، وقام أبو بكر دونه يقول : أَتقتلون رجلاً أن يقولَ ربي الله ؟ ثم انصرفوا عنه .

قال : فإن ذلك لأشدُّ ما رأيتُ قريشاً بلغتْ منه قطُّ[2] .

---

(١) أي : صار يسكن رسول الله ﷺ ويرفق به ، ويتودد له خوفاً مما قاله لهم .

(٢) قال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) : قلت : في الصحيح طرف منه ، رواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، وبقية رجاله رجال الصحيح . اهـ من الجزء السادس .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ يصلِّي عند البيت ، وأبو جهل وأصحابه جلوس ، وقد نُحرت جزور ـ أي : بعير ـ بالأمس ، فقال أبو جهل : أيُّكم يقومُ إلى سَلا ـ أي : كرِش ـ جزور بني فلان فيضعه بين كتفي محمد إذا سجد ؟

فانبعث أشقى القوم ـ عقبة بن أبي مُعَيط ـ فأخذه ، فلما سجدَ النبيُّ ﷺ وضعه ـ أي : وضع كرِش البعير بين كتفيه ـ ﷺ ـ فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض .

قال ابن مسعود : وأنا قائم أنظر ؛ لو كانت لي مَنَعة ـ أي : قوة أو جماعة ـ طرحتُه عن ظهره ﷺ ، والنبي ﷺ ساجدٌ ما يرفع ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت ـ وهي جُويرية ـ فطرحتْه عنه ﷺ ثمَّ أقبلت عليهم تشتمهم .

فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاث مرات ، وإذا سأل سأل ثلاثاً .

ثم قال ﷺ : « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط » وذكر السابع ولم أحفظه ، فو الذي بعث محمداً ﷺ بالحقِّ لقد رأيتُ الذين سمَّى صَرْعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب ـ أي : البئر ـ قليب بدر ، رواه الشيخان .

ولما مات عمه ﷺ أبو طالب اشتدَّ إيذاءُ المشركين للنبي ﷺ ، وقابلوه بأنواع العداوة والشدائد ، فتوجه ﷺ إلى الطائف لعل ثقيفاً

يكونون له رِدْءاً وعوناً وأنصاراً على قومه في مكة ، فإذا بهم يقابلونه أسوأ مقابلة ويردُّون عليه أقبح ردٍّ ، وإنما قَصَدهم ـ كما قال المقريزي ـ لأنهم كانوا أخوالَه ، ولم يكن بينه وبينهم عداوة .

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلتُ يا رسول الله : هل أتى عليك يومٌ أَشدَّ من يوم أُحُدٍ ؟

قال ﷺ : « لقد لقيتُ من قومِكِ ما لقيتُ ، وكان أشدُّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة ، إذْ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال ، فلم يجبني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي ، فلم أَستفِقْ إلاَّ وأنا بقَرْن الثعالب[1] ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أَظلَّتْني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : إنَّ الله تعالى قد سمعَ قولَ قومِك لك ، وما ردُّوه عليك ، وقد بعث إليك مَلَكَ الجبال لتأمرَه بما شئتَ فيهم .

فناداني ملَكُ الجبال وسلَّم عليَّ ثم قال : يا محمد إنَّ الله تعالى قد سمعَ قولَ قومِك لك ، وأنا مَلَك الجبال ، قد بعثني إليك لتأمرَني بأمرك ـ زاد الطبراني : بما شئتَ ؟ إنْ شئتَ أَطبقتُ عليهم الأخشبَين[2] !

فقال ﷺ : « بل أَرجو أَن يَخرجَ من أَصلابهم مَنْ يعبدُ الله ولا يُشرك به شيئاً » .

وروى أبو نعيم في (الدلائل) عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما

---

(١) وهو قرن المنازل ، ميقات أهل نجد ، وبينه وبين مكة يوم وليلة .
(٢) جبلي مكة : أبا قبيس ومقابله قعيقعان .

قال : ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدّة ، فعمَّد إلى ثَقيف يرجو أن يُؤووه وينصروه ، فوجد ثلاثة نفر منهم سادةَ ثقيف ، وهم إخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وخُبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه ﷺ وشكا إليهم البلاء ، وما انتهك قومه منه .

فقال أحدهم : أنا أسرِق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قطّ .

وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمةً واحدةً أبداً ، لئن كنتَ رسولاً لأنت أعظم شرفاً وحقاً من أن أكلمك[1] .

وقال الآخر : أيعجِز الله أن يرسل غيرك ؟

وأفشوا ذلك ـ الذي قال لهم ـ في ثقيف ، واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ ، وقعدوا له على صفَّين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة ، فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة ، وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون ! .

فلما خلص من صفَّيْهم وقدماه تسيلان الدماء ، عمَد ﷺ إلى حائط من كرومهم ، فأتى ظل حبلة من الكرم ، فجلس في أصلها مكروباً مُوجَعاً تسيل قدماه الدِّماء .

وذكر ابن إسحاق ـ وروى الطبراني أيضاً ـ عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما : لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف ،

---

(١) وزاد ابن إسحاق قوله : ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن كلمك .

فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، فأتى ظلَّ شجرة ـ أي من عنب ـ فصلَّى ركعتين ثم قال :

« اللهمَّ إليك أشكو ضعف قوَّتي ، وقلَّةَ حيلتي ، وهواني [1] على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ، أنت أرحمُ الراحمين ، وأنت ربُّ المستضعَفين ، إلى مَنْ تَكِلني ؟ إلى عدوٍّ بعيد يتجهَّمُني [2] ، أم إلى قريبٍ ملَّكتَه أمري ؟ إن لم تكن غضباناً ـ وفي رواية : إن لم تكن ساخطاً ـ وفي رواية : إن لم يكن بك سخط ـ وفي رواية : إن لم يكن بك غضب ـ عليَّ فلا أبالي ، غيرَ أنَّ عافيتَك أوسعُ لي ، أعوذُ بنور وجهك الكريم الذي أضاءتْ له السموات والأرض ، وأشرقتْ له الظُّلمات ، وصَلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، أن ينزِلَ بي غضبُك ، أو يحلَّ بي سخطُك ـ وفي رواية : أن يحلَّ عليَّ غضبُك ، أو ينزِلَ عليَّ سخطُك ـ ولك العُتبى [3] حتى ترضى ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بك » [4] .

---

(١) أي : احتقارهم لي واستهانتهم بي .

(٢) أي : يلقاني بالغلظة والوجه الكريه .

(٣) قال في (شرح المواهب) : العتبى ـ بضم العين وألف مقصورة ـ أي : أطلب رضاك .

(٤) انظر ذلك كله في (شرح المواهب) للزرقاني .